

الإدارة البريطانية للعراق في ظل مرحلتي الاحتلال والانتداب أ.د ياسين طه ظاهر /قسم التاريخ كلية المأمون الجامعة

المستخلص:

لقد أستطاع العراقيون الخروج من مرحلة الاحتلال الى مرحلة اخرى جديدة فرضها الحلفاء وهي الانتداب، وفيها بدأت ملامح تشكيل الحكومة وبناء مؤسسات الدولة في اطار نظام ديمقراطي. وكانت سياسة التدرج السلمي واحدة من ابرز سمات هذه المرحلة رغم وجود الاحتلال ثم الانتداب البريطاني، فكان الملك فيصل يسمح بوجود المعارضة والشخصيات الوطنية ويتعاطف مع طروحاتهم ويعدهم بتحقيق مطالبهم شرط عدم فرضها بالقوة، ولكن سرعان ما انقطعت او اصر الحوار والتفاهم مع المعارضة بعد وفاة فيصل وظل نظام الحكم ومن ورائهم الانكليز ينظرون للشعب والمعارضة نظرة استخفاف، وظل النظام محمياً من الانكليز وشيوخ العشائر الإقطاعيين، ولهذا كان يردد نوري السعيد(دار السيد مأمونة) ويقول انصار الملكية: أن المرحلة التي شهدتها العراق في ظل مرحلتي الاحتلال والانتداب كانت مرحلة بناء نظام ديمقراطي فيه برلمان للنخبة وانتخابات ودستور دائم ولكن العبرة ليس بذلك وهو ما لخصه الشاعر العراقي الرصافي ((علم ودستور ومجلس امة كل عن المعنى الصحيح محرف)).

ويعود السبب في تقديرنا لنجاح العراقيين في فرض ارادتهم على المحتل البريطاني وفي تغيير سياساته لأن معظم رجال العراق من الوطنيين اجتمعوا على برنامج وطني واحد بغض النظر عن الانتماء الديني أو المذهبي وكانت قصائد الشعراء تؤكد هذه الحقيقة وفي رفض جميع اشكال السيطرة الخارجية وفي توحيد الرؤيا لبناء مستقبل العراق السياسي

Abstract:

Britain's decision to invade Iraq was not a result or reaction of World War I as many historians might think, rather, this action was inspired by the political and commercial impact of the British tradesmen and residents who lived in Iraq and who pushed toward this occupation. This is a fact that British senior statesmen have indicated at that time emphasizing that Iraq represents their natural authority where an eye was kept on it regarding the Europeans and their plans.

Phase one of the British activity represents, as described by writers, is a phase and diplomacy of empowering their authority when Britain had invaded Iraq. Many procedures have been adopted to organize management which was run directly by the British through the political leaders. More focus was practised on the tribes through the policy of *Commitment* whereby tribesmen can gain back powers and authorities on condition of being in charge of their tribes' behavior and obeying the British authorities.

Phase two was the Mandate where Britain found it necessary to establish an (Iraqi Government) that is governed by mandatory terms.

This research concentrates on the role of the British during the two stages of Occupation and Mandate to build up governmental Iraqi institutions up to July 14, 1958 which describes the so called Double Management of ruling Iraq.

مقدمة:

إن دراسة هذه المرحلة التاريخية تعطي وتعكس جملة مؤشرات أساسية منها: إن النفوذ البريطاني أخذ في البداية طابعا تجاريا واستطاع التجار الانكليز والشركات الانكليزية بعد ذلك الحصول على الامتيازات الكبيرة ، التي مهدت لتوطيد النفوذ البريطاني ، وجعلت بريطانيا تمثل الدولة الأولى في حجم المصالح الاقتصادية والسياسية في الولايات العثمانية وفي العراق بوجه خاص ، لهذا فان هذه المصالح فضلا عن المنافسة الأوروبية كانت وراء الدوافع الأساسية في منشأ هذا النفوذ وتعزيزه في العراق.

عندما قامت بريطانيا باحتلال العراق ، اتخذت العديد من الإجراءات لتنظيم أدارته ، فقد بدأت بحكمه بشكل مباشر ومن خلال الحكام السياسيين وسميت هذه المرحلة بالاحتلال. وفي المرحلة الثانية التي سميت بمرحلة الانتداب، وجدت سلطات الاحتلال انه من الضروري تأسيس (حكومة عراقية) في الواجهة ولكن تحكمها من خلال ما عرف بشروط الانتداب. ووصفت إدارة العراق في هاتين المرحلتين (بالإدارة المزدوجة) وتم تلخيص البحث بسبب متطلبات النشر

المبحث الأول

النفوذ البريطاني قبل الاحتلال:

تعد سنة ١٧٦٣ البداية الأولى في تعيين القناصل البريطانيين في العراق حيث أصبح وكيل شركة الشرق الأدنى قنصلاً بريطانيا في البصرة، وقامت بنقل وكالتها التجارية من ميناء (بندر عباس) إلى ميناء البصرة. وبذلك أصبحت البصرة اكبر مركز للنفوذ التجاري في الخليج العربي (١).

وحدد اللورد كرزون وزير المستعمرات ١٩١١ النفوذ والمصالح البريطانية

بقوله (٢)

(من الخطأ الافتراض بأن مصالحنا السياسية محددة في منطقة الخليج العربي، لأن هذه المصالح لا تحدد بالخليج العربي، ولا بالمنطقة المحصورة بين البصرة وبغداد، بل تمتد حتى تصل بغداد نفسها) لقد استخدم البريطانيون كل الوسائل من اجل تعزيز نفوذهم ، ومواجهة النفوذ الأوروبي ، ولهذا عقدوا اول معاهدة مع الدولة العثمانية سميت بمعاهدة (يطة ليمان) ١٨٣٨ لاستغلال اقتصاديات العراق ولهذا ارسلوا بعثة برئاسة الملازم (فرنسيس جزين) للكشف عن أمكانية استخدام (نهري

دجلة والفرات) في الملاحة، ولكن واجه صعوبات كبيرة منها غرق الباخرة المسماة (دجلة) . (٣)

وفي سنة ١٨٦١ تم مد خط التلغراف بين (بغداد واستانبول) وخطين احدهما لخانقين تم افتتاحه عام ١٨٦٤ ، وأخر للفاو تم افتتاحه في العام نفسه ، فضلاً عن القيام بتشجيع رؤوس الأموال البريطانية لتوظيف إمكاناتها في العراق . (٤) وتم تأسيس خط لنقل البريد بين بغداد ودمشق وإنشاء خط تجاري وبريدي بين بغداد والبصرة سنة ١٨٦٣. (٥)

كما تأسست دوائر بريدية في بغداد والبصرة بموافقة والي بغداد تقي الدين باشا ١٨٦٨-١٨٦٩ (٦). وأصبحت هذه الدوائر في بداية القرن العشرين جزءاً من التشكيلات العسكرية التي ساهمت في احتلال العراق، التي جمعتها بعد ذلك دوائر مركزية مثل (ناظرية البريد الملكية) التي أصدرت أول طابع يحمل عبارة (بغداد تحت الاحتلال البريطاني) . (٧)

ومن اجل ربط العراق بالهند قامت بريطانيا ، بطرح عدة مشاريع لسكك الحديد منها مشروع يمر بالعراق إلى الهند ، سمي في حينه (سكة حديد الفرات) وقد تبنى هذا المشروع بالمرستون رئيس الوزراء البريطاني عام ١٨٥٠ ثم أعيد طرحه ١٨٨٠ بمشروع جديد سمي سكة حديد (الهند - البحر المتوسط) يبدأ بطرابلس الشام وينتهي بمدينة بوشهر الإيرانية ، ويمر بالموصل والكوت ومندلي (٨).

ويتضح من هذا المشروع والمدن التي يمر بها إنه ذات طبيعة عسكرية واقتصادية تهدف الى ربط المنطقة بعضها ببعض لحماية المصالح الاقتصادية . نستخلص من خلال دراسة هذا النشاط التجاري البريطاني ، ودور المقيميات البريطانية والمقيمين ، ان هذا الاحتلال البريطاني الذي انتهى في احتلال الموصل كأخر جزء من العراق في ٧ تشرين الثاني ١٩١٨ ، انتهت مهمة المقيميات والمراكز التجارية ودبلوماسية تعزيز النفوذ ، وبعبارة أخرى انتقل مركز النفوذ البريطاني من دفاتر الشركات والتجار إلى وسائل رجال الدولة .

المبحث الثاني

ماذا يمثل احتلال العراق في الإستراتيجية البريطانية :

قبل احتلال العراق ، وتحديداً في سنة ١٩١١ ، حدد اللورد كرزن وزير المستعمرات أهمية العراق الإستراتيجية وقال: (أن العراق يمثل بالنسبة للإستراتيجية البريطانية نهاية الغاية لثلاثة قرون من النشاط التجاري البريطاني في الشرق الأوسط) (٩) وبدأت المرحلة الأولى من الاحتلال في التأكيد السياسي على بقاء العراق ضمن السيطرة البريطانية ، وبعد عشرة أيام فقط من دخول القوات البريطانية واحتلالها البصرة عام ١٩١٤ تلقت القيادات العسكرية البريطانية ، الخطوط العامة

التي يجب تنفيذها ، والتي حملت تخطيطاً كاملاً للإدارة ولمستقبل العراق السياسي .
(١٠)

ظهرت (ثلاثة تيارات) في مركز صنع القرار السياسي البريطاني تتركز حول الاستمرار في احتلال كل العراق أم الاكتفاء باحتلال البصرة والقسم الجنوبي من العراق، (١١) وهذه التيارات هي :

١ . فريق يمثل وزارتي الحربية والبحرية ويقوده اللورد كيتشر وزير الحربية الذي يقول (أن ضم العراق هو هدف رئيسي للسياسة البريطانية) .

٢ . أما الفريق الثاني الذي تمثله حكومة الهند ووزارة الهند في لندن فيقول بأن (احتلال العراق هو المخرج المهم للكثافة السكانية في الهند ولكن طلب ضم البصرة الى الهند) والذي يقوده اللورد هاركورت وزير المستعمرات .

٣ . أما وجهة النظر الاخرى فقدمها (مارك سايكس) وهو صاحب اتفاقية (سايكس بيكو) فيقول ان استعمار العراق بكامله ، هو هدف السياسة البريطانية .

لهذا طلب برسي كوكس (رئيس الحكام السياسي) المرافق للحملة البريطانية التقدم باتجاه احتلال بغداد وبقية المدن العراقية. (١٢)

وتتضح أهداف بريطانيا واحتلال العراق من خلال كونها جاءت للمحافظة على نفط ايران الذي نال البريطانيون امتيازه عام ١٩٠٦ . وللاستيلاء على نفط العراق ، وجعل العراق جزءاً من امبراطوية الشرق الاوسط التي كانت بريطانيا تخطط لها.

(١٣)

المبحث الثالث

الإدارة البريطانية للعراق في مرحلة الاحتلال:

تمتد هذه المرحلة منذ بداية الاحتلال البريطاني للعراق، وذلك باحتلال البصرة في ٢٣ تشرين الثاني ١٩١٤ حتى قيام ثورة العشرين التي فرضت على بريطانيا تغيير سياستها وبإقامة ماسمي بنظام الحكم الوطني من خلال فرض الانتداب لقد بدأت بريطانيا بتنشيت شكل جديد للوجود السياسي البريطاني يقوم على أساس إقامة (نظام احتلال مطلق)، لهذا جاء قرار مجلس الحرب البريطاني بعد خمسة أيام من احتلال بغداد في ١٦ آذار ١٩١٧ ، بتشكيل لجنة عليا لإدارة العراق سميت (اللجنة الإدارية لبلاد ما بين النهرين) برئاسة اللورد كرزن ، وجاءت اللجنة الى بغداد في ٢٩ آذار من العام نفسه وكان من مقترحاتهم التأكيد على ان العراق تديره الحكومة البريطانية من لندن وليس حكومة الهند. (١٤)

وبدأت الإدارة البريطانية ببناء تنظيماً على شكل مؤسسات يديرها العسكريون البريطانيون ، وتقوم سياستهم على فرض القوانين والأنظمة الهندية التي طبقوها في البصرة على بغداد ، كما قاموا بتقسيم كل منطقة الى وحدات إدارية

سموها (بالمقاطعات) يديرها الضباط السياسيون حيث قسم برس كوكس (أول معتمد سامي بريطاني) للعراق، العراق الى عشر وحدات ثم الى خمس عشرة وحدة ادارية عام ١٩١٩ هي (البصرة ، العمارة ، المنتفك ، الديوانية ، الشامية ومن ضمنها النجف ، الحلة ومن ضمنها كربلاء ، كوت الامارة ، بغداد ، بعقوبة ، خانقين ، سامراء، الدليم ، دير الزور ، الموصل ، كركوك) ثم سرعان ما انسلخت دير الزور من العراق واعطيت لسورية وادمجت وحدتي خانقين وبعقوبة في وحدة ادارية واحدة ، وسامراء ضمن وحدة بغداد والشامية ضمن الديوانية ، واصبحت كربلاء والنجف وحدة ادارية ، وانشأت وحدة ادارية جديدة هي اربيل. (١٥)

وكل هذه الوحدات الادارية مرتبطة بدائرة عرفت باسم (دائرة الحاكم المدني العام) ومقرها بغداد وتتشكل هذه الدائرة من مجموعة من (الناظريات) التي هي عبارة عن (وزارات) وهي ناظرية المالية وناظرية العدلية وناظرية الاشغال العامة وناظرية الصحة والتعليم وكل واحدة تشرف على الانشطة الادارية المتنوعة المرتبطة باختصاصاتها ويتزأسها ارنولد ويلسون نائب الحكم المدني العام (١٦). ولتعزيز الصفة العسكرية لهذه الادارة تم وضع قانون كامل باسم (قانون المناطق العراقية المحتلة) صدر في (١١ آب ١٩١٥) بموجبه اصبح الضابط العدلي هو يمارس الصلاحيات الحقوقية في المنطقة الادارية كما وضع (دعوى العشائر المدنية و الجزائية) سنة ١٩١٦ والهدف منه اشراك ابناء العشائر في المجالس العشائرية وقراراتها غير شرعية ما لم يصادق عليها الحاكم البريطاني في تلك المنطقة . (١٧)

كان البريطانيون يتنافسون في العمل بالعراق لانه يوفر لهم مستوى معيشة اعلى من امثالهم في بريطانيا نظراً لما يتمتعون به من امتيازات ومظاهر . (١٨)

لهذا كان العراق في ظل هذه الادارة عبارة عن (محمية بريطانية) يحكمها ويلسون بسياسته المتشددة واقامت سلطات الاحتلال لأول مرة (المجالس البلدية) حيث اعتبر ويلسون هذه المجالس هي مشاركة من العراقيين في الحكم وهي الخطوة الاولى باتجاه بناء مؤسسات الحكم الذاتي . (١٩)

كما تم في الاول من كانون الثاني ١٩١٩ انشاء اول (مجلس بلدي) في بغداد يتألف من (رئيس ونائبين) وعشرة اعضاء رسميين وستة اعضاء غير رسميين منتخبون، ويزود بسلطة مالية قدرها (٥٠٠٠ روبية) في السنة. (٢٠) كما قامت (دائرة الحاكم المدني العام) بأول إحصاء تمهيدي للسكان في بداية عام ١٩٢٠ ظهر فيه ان نفوس العراق (٢,٨٤٩,٢٨٢) نسمة وهو ما اشار اليه كوكس في محاضرة له في الجمعية الملكية البريطانية عام ١٩٢٣ . (٢١)

ولابد من التساؤل حول دور ونسب العراقيين في هذه الادارة البريطانية حيث يوضح الجدول الاتي تركيبة الادارة البريطانية في العراق حسب الجنسية والدخل الشهري لعام ١٩١٧ . (٢٢)

جدول رقم (١)

الدخل الشهري						اسم الدائرة
أقل من ٦٠٠ روبية (مناصب غير مهمة)			أكثر من ٦٠٠ روبية (٤٥ دولار) (مناصب مهمة)			
العرب	الهنود	الانكليز	العرب	الهنود	الانكليز	
١٢٣	٦٢	٥٥	-	-	٥	الإدارة المركزية
٧	١٣	٢	-	-	٨	الواردات
٢٢	١٣	٢	-	-	١٨	المالية
٢٣٨	٧	١	١٠	-	١٤	القضاء
٧٥	٢٣	٩	-	-	١٢	الجمارك
٨٦٢	٣١٦	٢٨	٤	-	١٩٦	الجهات التنفيذية (التقسيمات)
٧	٢٢	٤	-	-	١١	الزراعة
٤٧٩	٤	١	-	-	١١	التعليم
٢٣٩٧	١٧	٥٦	-	-	٢٢	الشرطة
٣٩	٣٨٠	٨	-	-	٢٨	الميناء
٢٩٨٧	١٧٨	٣٣	-	-	٣٧	الليفي
١٧٨	-	١	٣	٤	٤٢	الري
١١١٢	١,١٠٩	٣١٥	٣	٣	٢٠٣	الدوائر الأخرى
٨٥٤٦	٢٢٠٩	٥١٥	٢٠	٧	٥٠٧	المجموع
١١٨٠٤						المجموع الكلي

لقد شغل العراقيون نسبة (٧٥%) من الوظائف غير المهمة و(٣,٥) من الوظائف المهمة ان أكثر من نصف هذه النسبة من العراقيين كانوا في سلك الشرطة الشبانة او (الشرطة العسكرية) (٢٣٩٧) او في الليفي (٢٩٨٧) . وكان السلك الاخير يضم عراقيين من غير العرب او المسلمين وفضلا عن ذلك ، من الواضح ان جميع العراقيين تقريباً ، العاملين في دوائر الشرطة والليفي كانوا يشغلون رتباً غير ادارية .

لقد لاقت سياسة الحكام السياسيين بفرض القوانين والانظمة الهندية بشكل قسري ردود فعل سلبية وعنيفة من الشعب العراقي وبقيت متواصلة طيلة فترة الاحتلال وكان من نتائج ذلك عقد اجتماع مشترك في وزارة الحرب البريطانية برئاسة اللورد كوزن في ٢٧ تشرين الثاني ١٩١٨ اثبرت فيه بعض التساؤلات وارسلت الى بغداد الى ويلسون على شكل اسئلة للاجابة عنها في (استفتاء) يجري للشعب العراقي وهي : (٢٣)

- ١ - هل يرغب الشعب العراق (بدولة واحدة) من الموصل الى الخليج .
- ٢ - هل يرغب بالحماية البريطانية كضرورة في هذه الحالة وهل يرغب بحكم عربي .

٣ - اذا كان يرغب في حكم عربي فمن هو الشخص الملائم .

وجرى الاستفتاء بشكل صوري للمتنفذين في المدن ورؤساء العشائر وكان من نتائج الاستفتاء (أنهم يرغبون بالانكليز الذي يتكلمون العربية وان يكون كوكس حاكماً للعراق) (٢٤)

كما اشارت وزارة المستعمرات في ١٤ شباط ١٩١٩ الى وكيل الحاكم المدني بوضع دستور لدولة عربية او عدة دول استناداً الى رغبات السكان ولكن لم تشكل لجنة لهذا الغرض الا في سنة ١٩٢١ وضعت هذه اللجنة الدستور الذي يمثل المسودة الاولى لدستور ١٩٢٥. (٢٥)

المبحث الرابع

بريطانيا وبناء مؤسسات الحكم الوطني في مرحلة الانتداب:

تبدأ هذه المرحلة من الإدارة البريطانية للعراق في ١١ تشرين الأول ١٩٢٠ بوصول أول معتمد بريطاني سامي هو برسي كوكس ، وتستمر لغاية ٣ تشرين الأول ١٩٣٢ نهاية مرحلة الانتداب ودخول العراق عصبة الامم لتبدأ مرحلة جديدة من تاريخ العراق السياسي تسمى (مرحلة الاستقلال) في هذه المرحلة ينتهي دور (دائرة الحاكم المدني العام) ليبدأ دور مؤسسة بريطانية جديدة تأخذ تسمية (دار الاعتماد البريطانية) والذي فرض هذا التغيير نتائج ثورة ٣٠ حزيران ١٩٢٠ والتي يطلق عليها ثورة العشرين . ومنها انتهاء خدمات ارنولد ويلسون في العراق لان البريطانيين هزتهم هذه الثورة وحاولوا استيعاب دروسها لذلك كان اول تغيير في السياسة البريطانية ازاء العراق هو الموافقة على مقررات مؤتمر (سان ريمو) لفرض الانتداب على العراق .

وأعلن ويلسون قبل مغادرته في بيان له : (٢٦)

(بان الحكومة البريطانية تعترم تشجيع تشكيل نوع من الادارة المدنية تستند الى مؤسسات نيابية محلية تمهد الطريق لتكوين دولة عربية مستقلة في العراق) ، وقام بتشكيل لجنة قانونية برئاسة (بونهام كارتر) لوضع صيغة قانونية تم فيها توضيح حقوق الدولة المنتدبة وجاء فيها كالاتي : (٢٧)

- ١ - يجب ان يوضع الدستور بالشكل الذي يتطابق وصك الانتداب على العراق .
- ٢ - يجب ان تكون العلاقات الخارجية بما فيها المعاهدات والحروب من حق الدولة المنتدبة .

٣ - يجب استشارة الدولة المنتدبة بالامور الداخلية .

وقد نصت لائحة الانتداب على ما يأتي : (٢٨)

(أن العراق دولة مستقلة تقبل المشورة الادارية والمساهمة التي يقدمها المنتدب) ، كانت كلمة الانتداب في نظر العراقيين مسألة بغیضة وقد انتبه الى ذلك ويلسون قبل

مغادرته العراق حيث ذكر في برقية له الى لندن (ان المطالبة الجماعية كانت باتجاه رفض الانتداب) . (٢٩)

لقد طرح المعتمد البريطاني كوكس على مجلس الوزراء في ١١ تشرين الثاني ١٩٢٠ (الأسس) التي تمثل بمثابة التعليمات حول علاقة بريطانيا بالحكومة وتحدد : (٣٠)

١ - تقع مسؤولية ادارة البلاد على عاتق المندوب السامي وهو المسؤول الاعلى الى ان ينعقد (المجلس التأسيسي) لسن قانون اساسي للعراق .

٢ - يستمع الوزراء العراقيون الى الاراء التي رفعها المستشارون البريطانيون .

٣ - تكون قرارات مجلس الوزراء قاطعة بشرط موافقة المندوب السامي.

وهكذا كان النظام الاداري في العراق يمثل ما يعرف (بالادارة المزدوجة) . واعتبر هذا التاريخ بداية عمل الحكومة العراقية المؤقتة بصورة شرعية وكان اول اجراء اتخذه كوكس في تنظيم صلاحيات وواجبات الوزير ومستشاره في تنظيم الادارة هو في التعليمات التي اصدرها كوكس في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٢٠ حيث اعتبر ضباط الادارة البريطانية سابقا في خدمة مجلس الوزراء العراقي، وكان اول اجراء قامت به هذه الحكومة وضع الاسس لبناء المؤسسات والدوائر الوطنية للدولة العراقية وقد اصدر اول قائمة بالتعيينات للمتصرفين والقائم مقامين ومدراء النواحي في ١٧ كانون الثاني ١٩٢١ وتقسيم العراق الي عشرة الوية و ٣٥ قضاء و ٨٥ ناحية. (٣١)

وتم انتخاب اول مجلس تأسيسي للعراق في ٢٥ شباط ١٩٢٤ وافتتح في ٢٧ اذار بخطاب للملك فيصل وكانت امامه ثلاث قضايا اساسية هي (البحث في المعاهدة العراقية البريطانية عام ١٩٢٤ سن الدستور العراقي، وسن قانون الانتخاب) وكانت السلطة تؤثر على الانتخابات بشكل واضح والدليل على ذلك انه لم يدخل في مجلس النواب منذ تكوينه عام ١٩٢٥ حتى قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ نائب واحد من العمال والفلاحين ، رغم انهم يشكلون الاكثرية انما كان يتألف هو ومجلس الاعيان من كبار الملاك ورؤساء الاقطاع الا في حالات محدودة . (٣٢)

وكان الموظفون البريطانيون في نظام الحكم بالعراق يمارسون السيطرة على الحكومة باوامر المعتمد السامي ، وليس باوامر الملك او رئيس الوزراء باعتبار انهم ليسوا في خدمة حكومة العراق رغم انها هي التي تدفع الرواتب لهم وهي اكثر من رواتب الوزراء انفسهم، وقامت بريطانيا بالحاق اربعة اتفاقيات بمعاهدة ١٩٢٢ فيما يتصل بدور الموظفين البريطانيين في العراق : (٣٣) من أهمها الاتفاقية الخاصة بالموظفين البريطانيين الذين كانوا يحكمون العراق خلف الستار وتحت تسمية تقديم (المشورة) أو ما يطلق عليهم باسم المستشارين وقد جعل كوكس لكل وزير مستشاراً بريطانياً وهكذا لكل الدوائر في الدولة العراقية مستشار وقد اشار الشاعر معروف الرصافي الى ذلك بقوله : (٣٤)

وللمشورة في اوطاننا شبحٌ

تخيف صورته الأشباح والصورا

أن إدارة الحكم في هذه المرحلة كانت عراقية في الواجهة ولكن في حقيقة الامر هي (لدار الاعتماد البريطانية) وليس للحكومة العراقية حيث لا تكتسب الانظمة والقوانين صفتها القانونية الا بعد اقرار الدار لها. (٣٥)

وهي تتدخل في شؤون الحكومة وفي تشكيل واقالة الوزارات لذلك خلقت اختلافات كبيرة بين هذه السلطة البريطانية ومؤسسات الحكم الوطني مما ادت الى (الازدواجية) في ادارة الدولة التي ظلت قائمة بتفاوت حتى قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨. كذلك كانت الاستشارة البريطانية مجالاً واسعاً في التشكيك بالوزارات العراقية لانها تسلبها حريتها في الحركة واتخاذ القرارات. (٣٦)

لقد وصف احد المؤرخين العراقيين المعروفين (مجيد خدوري) هذه العلاقة بين الوزير والمستشار بقوله (٥٢): (للعراق سيادة وطنية مع هذا فهو تحت الانتداب وان الوزراء مسؤولون امام البرلمان ومع هذا فهم تحت نفوذ المستشارين الانكليز) ويلاحظ ان الرواتب الشهرية للمستشارين البريطانيين اعلى من الوزراء حيث كان راتب الوزير عام ١٩٢٣ يبلغ (٢١١٢) روبية شهرياً في حين راتب المستشار (٢٥٧٥) روبية (٣٧)

توالى على الحكم منذ تأسيس المملكة حتى دخول العراق عصبة الامم ١٩٣٢ اربع عشرة وزارة بضمنها الوزارة المؤقتة والتي شكلت منذ عام ١٩٢٠ وقد اشار المستر اوتز عضو لجنة الانتدابات في عصبة الامم عام ١٩٣٠ بقوله أن (التغيير السريع يمثل دليلاً او شاهداً محتملاً لقدرة العراق على الحكم الذاتي) وان السبب الاساس في تقديرنا في هذا التبدل السريع هو التدخل من قبل دار الاعتماد البريطانية بكل التفاصيل حتى الصغيرة منها. (٣٨)

المبحث الخامس

موقف الشعب العراقي من الاحتلال والانتداب:

رغم الاساليب التي اتبعها البريطانيون في الحكم والتي استفاد منها بعض الافراد وخاصة زعماء القبائل، الا ان هذا لم يمنح الشعب العراقي من المطالبة بحقوقه السياسية والوطنية والمطالبة بالاستقلال، فلذلك نرى ان الشعب العراقي بدأ يضيق بنظام الادارة الانكليزية المباشر، وعلى اثر ذلك بدأت القلاقل لان العراقيين وجدوا انهم لا يتمتعون بالحقوق التي وعدتهم بها الدول الاوربية في تصريحاتها العديدة. وبعد الاحتلال البريطاني مباشرة قامت عدة انتفاضات اولها في النجف في ايار ١٩١٥ حيث الف النجفيون (حكومة محلية) وسقطت انتفاضتهم في ٣٠ ايار ١٩١٨ وتم

تنفيذ حكم الاعدام ب ١١ ثائراً وجاءت انتفاضة (زاخو) في اذار ١٩١٩ لتمثل اول انتفاضة قام بها الكرد ضد الاستعمار البريطاني وقامت بها عشيرة (الكويان) ولم يتمكن من القضاء عليها حتى صيف هذا العام . (٣٩)

لقد توجت هذه الانتفاضات بقيام الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ لتفرض على بريطانيا تغيير سياستها من الاحتلال والحكم المباشر الى الانتداب والحكم اللامباشر او ما عرف عليه باسم حكم (الادارة المزدوجة) لقد قامت السياسة البريطانية في الحكم وادارة العراق على (فكرة) اساسية وهي : (٤٠) (من يستطيع السيطرة على شيوخ العشائر يستطيع السيطرة على العشائر ومن يستطيع ان يسيطر على العشائر يحكم العراق بسهولة) .

لقد قامت قوات الاحتلال بكل الوسائل من اجل حكمها واصدرت عند احتلالها للبصرة جريدة باسم (بصرة تايمس) وعندما احتلت بغداد (جريدة العرب) وعين (قلبي) محرراً لها (٤١).

كان هدف هذه الصحف إثارة العراقيين على الاتراك وما قاموا به تجاههم وتطرح شعارات بانها تسعى الى (تقدم ورقي العرب) ولعل واحدة من ابرز القضايا التي واجهت بريطانيا في ظل الانتداب هي المطالبة الشعبية بتشكيل (جيش عراقي) حيث رفض البريطانيون اي شكل من اشكال التجنيد الاجباري، لان شروط الانتداب تمنع التجنيد الاجباري لذلك ركزت بريطانيا على فكرة المجندين المحليين (الليفي) .

(٤٢)

كما كان اول رفض جماهيري ومعارضة للسياسة البريطانية بشكل منظم هو في اب ١٩٢٢ في الذكرى الثانية لتتويج الملك فيصل الاول حيث كتب الحزبان الوطني والنهضة عريضة مشتركة موجهة الى الملك من خلال مظاهرة صاخبة في البلاط الملكي قدماء للملك طلبا فيها : (٤٣)

- ١ - عدم التدخل البريطاني في الامور الادارية .
- ٢ - تأليف وزارة من الاكفاء المخلصين لكي تطمئن الامة باصلاح الحال فيزول الاضطراب وتهدأ الخواطر وتعم السكينة والراحة في البلاد .
- ٣ - ان لا تعقد اية معاهدة ولا تجري مفاوضة بشأنها قبل تأليف المجلس التأسيسي الذي ينتخب اعضاؤه بحرية كاملة .

وعندما وصل المندوب السامي السير (برسي كوكس) الى البلاط الملكي سمع صوتا من احد الاشخاص الذين كان يسميهم الانكليز (المطرفين) وذلك بصراحه (بسقوط الانتداب وسقوط انكلترا) فاعتبر ذلك اهانة له شخصياً والى حكومته وتم ابعاد القائمين بها الى جزيرة هنجام في الخليج العربي وبتعطيل جريدتي (المفيد) ، (الرافدان) لقد واجه العراقيون الاحتلال والانتداب البريطاني بكل اطرافه بروية واحدة وبمنهج وطني واحد بعيداً عن الطائفية والعشائرية والمناطقية والسياسية وما يدلل

على ذلك ان اول مظاهرة شهدها بغداد في جامع الحيدر خانة ١٩٢٢ انتخب المتظاهرون (١٥) مندوباً منهم من كل شخصيات العراق ومن كل الانتماءات . استطاع السياسيون في هذه المرحلة من بناء الحكم الدستوري وخروج العراق من مرحلة الانتداب ودخوله عصبة الامم (كأول دولة عربية) في ٣ تشرين الثاني ١٩٣٢. (٤٤)

لذلك اعتبرت معاهدة ١٩٣٠ من اهم المعاهدات التي عقدت بين العراق وبريطانيا لأنها (الغت الانتداب) وأنقذت الخزانة العراقية من الابعاء المالية التي كانت تحملها من خلال توظيف المستشارين والموظفين البريطانيين، واطلقت يد الحكومة في التمثيل الخارجي وان تجعل العراق دولة مستقلة. (٤٥)

المصادر والمراجع:

- ١ -جون غوردن لوريمر / دليل الخليج، القسم التاريخي/ج٤ قطر بلا ص ٢٣٨١
- ٢ -يقظان سعدون العامر /نشاط شركة الهند الشرقية الانكليزية في البصرة / جامعة البصرة سلسلة تراث البصرة ١٩٩٠، ص ١٤
- ٣ -جيمس مكنهام / رحلتي الى العراق/ج٢ ترجمة سليم طه التكريتي بغداد ١٩٦٩، ص ٢٩٥-٢٦٠ وعبد الامير محمد أمين/ المصالح البريطانية في الخليج العربي ١٧٤٧-١٧٧٨ ترجمة هاشم لازم كاظم/بغداد ١٩٧٧، ص ١٣٤
- ٤ -عبد العزيز سليمان نوار/المصالح البريطانية في انهار العراق ١٦٦١-١٩٢٧/مصر ١٩٧٠ ص ٢٠٥
- ٥ -المصدر نفسه ص ١٧، ١٨
- ٦ -تفصيلات أكثر حول هذه المشاريع لوريمر/دليل الخليج/ ج٦/ ص ٣٤٨٣
- ٧ -زكي صالح/موجز تاريخ العراق-منشأ النفوذ البريطاني في بلاد ما بين النهرين/بغداد ١٩٤٩، ص ١٠٢
- ٨ -لوريمر/دليل الخليج/ مصدر سابق/ج٦/ص ٣٥٤٠
- ٩ -علي حمزة سلمان/تطور الخدمات البريدية في العراق ١٩٢١-١٩٤٥، دراسة تاريخية/رسالة ماجستير غير منشورة-كلية الآداب-جامعة بغداد ١٩٩٠، ص ٢٢
- ١٠ -زكي صالح/موجز تاريخ العراق/مصدر سابق ص ٦١
- ١١ -فاروق صالح العمر /حول السياسة البريطانية في العراق ١٩١٤-١٩٢١ مركز دراسات الخليج العربي ١٩٧٨ / ص ٦-٨
- ١٢ -المصدر نفسه ص ٤٤-٤٥
- ١٣ - كاظم هاشم نعمة / الملك فيصل الأول والانكليز والاستقلال/ط١ بيروت ١٩٨٨ من ١٣-١٤

- ١٤ - ارنولد ويلسن/ بلاد ما بين النهرين – بين ولانين /ترجمة فؤاد جميل ط١ بغداد ١٩٧٠ ص ١٢١
- ١٥ - لودر / القول الحق في تاريخ سوريا وفلسطين والعراق / ترجمة نزيه المؤيد العظم دمشق ١٩٢٥ ص ١٢٢
- ١٦ - نخبة من اساتذة التاريخ / العراق في مواجهة التحديات / بغداد ١٩٨٨ ج ٣ ص ١٤٤ واحمد رفيق البرقاوي / العلاقات السياسية بين العراق وبريطانيا ١٩٢٢ – ١٩٣٢ / دار الرشيد للنشر بغداد ١٩٨٠ ص ١٤٠
- ١٧ - علي ناصر حسن ، الادارة البريطانية في العراق ١٩١٤-١٩٢١ / رساله دكتوراه غير منشورة كلية الاداب / جامعة بغداد/ تشرين الاول ١٩٩١ ص ١٥٣-١٥٨
- ١٨ - لونكريك ، العراق الحديث ، ترجمة سليم طه التكريتي ، بغداد ١٩٨٨ ، ص ١٨٨
- ١٩ - حول هذه السكرتاريات واعمالها انظر لونكريك العراق الحديث ط١ المصدر السابق ص ١٨٨- ١٨٩ وايرلاند ، فليب ويلارد /العراق دراسة في تطوره السياسي / ترجمة جعفر خياط / بيروت ١٩٤٩ ص ٨٢ وما بعدها
- ٢٠ - المس بل /فصول من تاريخ العراق القريب / ط٢ ترجمة جعفر خياط /بغداد ١٩٧٣ ص ٢٣٢-٢٣٣ وايرلاند /مصدر سابق ص ٥٠-٥١
- ٢١ - كاركتاكوس / ١٤ تموز ثورة العراق / ترجمة خيرى حماد – بيروت بلا ص ٧٦-٧٧
- ٢٢ - عبد الرزاق الحسني / العراق في دوري الاحتلال والانتداب / ط١ لبنان ١٩٥٥ ص ١٩
- ٢٣ - فؤاد قزنجي /العراق في الوثائق البريطانية / ١٩١٥-١٩٢٠ /بغداد ١٩٨٩ ص ٢٤
- ٢٤ - وميض جمال عمر نظمي / ثورة ١٩٢٠ الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية لحركة القومية العربية الاستقلالية في العراق / ط١ بيروت ١٩٨٤ ص ٢٠٤
- ٢٥ - فاروق صالح العمر / حول السياسة البريطانية في العراق ١٩١٤-١٩٢١ / منشورات مركز دراسة الخليج العربي / البصرة ١٩٧٨ ص ٥١
- ٢٦ - محمد مهدي البصير ، تاريخ القضية العراقية اج ١ ج ٢ مطبعة الفلاح \ بغداد ١٩٥١ ص ٨٢، ٨١
- ٢٧ - ايرلند /المصدر السابق / ص ٢٩٣
- ٢٨ - احمد رفيق البرقاوي / العلاقات السياسية بين العراق وبريطانيا ١٩٢٢-١٩٣٢ \ دار الرشيد للنشر بغداد ١٩٨٠ ص ١٨-١٩
- ٢٩ - فاروق صالح العمر / مصدر سابق من ٥٥-٥٨
- ٣٠ - عبد الرزاق الحسني / تاريخ الوزارات العراقية ، ج١ بيروت ١٩٧٤ من ٣٩

- ٣١ - إبراهيم شريف / الشرق الأوسط . دراسة الاتجاهات - سياسة الاستعمار حتى ثورة ١٤ تموز السلسلة السياسية / وزارة الثقافة - بغداد ١٩٦٥ ص ٦١
- ٣٢ - الحسنی / العراق في دوري الاحتلال والانتداب / مصدر سابق ١٩٦-١٩٧
- ٣٣ - عن لائحة التعليمات للهيئة الإدارية العليا الحسنی / تاريخ الوزارات، ج ١ مصدر سابق من ١٧-٢٠
- ٣٤ - حسين جميل / العراق الجديد / ط١ بيروت ١٩٨٨ ص ٣٦
- ٣٥ - ايرلاند / المصدر السابق من ٥٦٢ وفواد قزانجي / العراق في الوثائق البريطانية / مصدر سابق ص ٣٤
- ٣٦ - ديوان معروف الرصافي / المجلد الثاني ، دار العودة بيروت ١٩٧٢ ص ٧١
- ٣٧ - لودر / القول الحق / مصدر سابق ص ٤٩
- ٣٨ - كاظم هاشم نعمه / الملك فيصل الاول / مصدر سابق من ٢٠٤-٢٠٥
- ٣٩ - مجيد خدوري / تحرر العراق من الانتداب ط١ بغداد ١٩٣٥ ص ٧
- ٤٠ - ايرلاند / العراق / مصدر سابق ص ٢٨٧
- ٤١ - مجيد خدوري / نظام الحكم في العراق / نقله الى العربية فيصل نجم الدين الاطرقجي ، بغداد ١٩٤٦ من ٦٤-٤٧
- ٤٢ - السيد عبد الشهيد الياسري ، البطولة في ثورة العشرين / مطبعة النعمان - النجف الاشرف / ط١ ١٩٦٦ ص ١٠٨ وعبد الرزاق الحسيني / ثورة النجف بعد مقتل حاكمها الكابتن مارشال / مطبعة الفرقان - لبنان ١٩٧٢ ص ٧٨
- ٤٣ - كمال مظهر احمد / ثورة الشعب الكردي في ثورة العشرين العراقية / مطبعة الحوادث بغداد / ط١ ١٩٧٨ ص ٨١ وعبد المنعم الفلاحی / ثورتنا في شمال العراق ١٩١٩-١٩٢٠ / مطبعة شفيق - بغداد ١٩٦٦ ص ٣٧
- ٤٤ - تقرير سري لدائرة الاستخبارات البريطانية عن العشائر والسياسة / ترجمة عبد الجليل الطاهر / مطبعة الزهراء - بغداد ١٩٥٨ ص ١٣
- ٤٥ - المس بل / العراق في رسائل المس بل / ترجمه وعلق عليه جعفر خياط / بغداد ١٩٧٧ ص ٥١